اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وبقي هنا ان نذكر شيئاً من اغلاطهم في الصور التركيبية استيفآءً للمقصود من هذا الفصل وهي ليست باقلّ شذوذاً من اغلاطهم في الكلم المفردة وان كانت اقلّ مواقع من تلك اللمّ الا في الاحكام الاعرابية مما ذهب بالنحاة كل مذهب فخرّجوا بعضهُ بما هو اشدّ غرابةً منهُ وردّوا بعضهُ الى بعض لغاتهم المهجورة مما لا نتعرض لهُ في هذا الموضع . فمن ذلك قول امرئ القيس وهو من ابيات المعلقة

تصدّ وتُبدي عن اسيلٍ وتتقي　　بناظرةٍ من وحش وجرةَ مُطفِلِ

اسيل خَلَفٌ من موصوف اي عن خدٍّ اسيل وهو الطويل المسترسل . ووجرة اسم موضع . ومُطفِل اي ذات طفل . وقولهُ وتتقي قال الزوزني الانقآء الحجز بين شيئين يقال اتقيتهُ بترس اي صيرت الترس حاجزاً بيني وبينهُ وكأن هذا تصويرٌ للاتقآء لا تفسيرٌ لمطلق معناهُ . وقال في تفسير البيت يقول تُعرِض العشيقة عنا وتُظهِر خدًّا اسيلاً وتجعل بيننا وبينها عيناً ناظرة من نواظر وحش هذا الموضع التي لها اطفال شبَّهها في حسن عينيها بظبيةٍ مُطفل وتلخيص المعنى أنها تعرض عنا فتظهر في اعراضها خدًّا اسيلاً وتستقبلنا بعينٍ مثل عيون ظبآء وجرة اللواتي لهنَّ اطفال . اه باختصار ولا يخفى ما فيهِ فان قولهُ تجعل بيننا وبينها عيناً ناظرة مقتضاهُ ان المراد بالناظرة العين فكانهُ قال بعينٍ من وحش وجرة اي من عيون هذا الوحش

كما صرَّح بهِ اخيراً في قولهِ وتستقبلنا بعينٍ مثل عيون ظبآء وجرة لكن يبق ان الشاعر وصف الناظرة بالمطفل وهو لا يقع وصفاً للعين . وقولهُ بعد ذلك شبهها في حسن عينيها بظبيةٍ مطفل مقتضاهُ ان المراد بالناظرة الظبية وهو خلاف ما ذكرهُ اولاً فضلاً عن انهُ لا يصح في المعنى اذ المراد بالظبية نفس العشيقة وهي انما تتقيهِ بنظرها لا بنفسها . وقال التبريزي وتلقانا بناظرةٍ يعني عينها واراد بوحش وجرة الظبآء ومُطفل ذات طفل . ثم قال وقولهُ بناظرةٍ اي بعينٍ ناظرة قال ابن كيسان كانهُ قال بناظرةِ مطفلٍ من وحش وجرة (اي باضافة ناظرة الى مطفل) ثم غلط فجآء بالتنوين كما قال الآخر

رحم الله اعظماً دفنوها بسجستان طلحةَ الطلحاتِ

تقديرهُ رحم الله اعظم طلحة فغلط فنوَّن ثم اعرب طلحة باعراب اعظُم . انتهى المقصود منهُ وهو التفسير الصحيح لمراد الشاعر وان كان البيت الذي تمثل بهِ يحتمل ما لا يحتملهُ بيت امرئ القيس . وقال الآخر انشدهُ سيبويه

ان الكريم وابيك يعتمل ان لم يجد يوماً على من يتكل

اراد ان لم يجد من يتكل عليهِ قال في لسان العرب فحذف « عليهِ » هذه وزاد « على » متقدمةً . ويشبه هذا قول المتنبي

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أنهُ في ثياب الحرّ مولودُ

اراد العبد ليس بصالحٍ اخاً للحرّ اذ لا داعي لوصف الحرّ بالصالح هنا ولكن تعذر عليهِ تركيب هذه الالفاظ على الوجه الذي يريدهُ فقدم وأخر فجاء الشطر مضطرب المعنى كما ترى . وقال امرؤ القيس

وأعلمُ انني عمّا قليلٍ سأنشبُ في شبا ظُفرٍ ونابِ

اراد سينشب فيَّ شبا ظفرٍ يعني ظفر المنية ونابها والشبا جمع شباة وهي حدّ الشيء وطرفهُ فقلب الكلام للضرورة • ومثلهُ قول النابغة الذبياني

اتاك بقولٍ لم اكن لأقولهُ ولو كُبّلت في ساعديَّ الجوامعُ

التكبيل التقييد والجوامع جمع جامعة وهي قيدٌ تُجمع بهِ اليدان الى العنق واراد ولو كُبّل ساعداي بالجوامع فقلب • ومثلهُ قولهُ ايضاً

فلا تتركنّي بالوعيد كانني الى الناس مطليٌّ بهِ القار اجربُ

قال الشارح الى في هذا البيت بمعنى في وتقديرهُ كاني في الناس مطليٌّ بالقار فقلب • ومن هذا قول عروة بن الورد

فاني لو شهدت ابا سعادٍ غداةَ غدا بمهجتهِ يفوقُ

فديتُ بنفسهِ نفسي ومالي وما آلوهُ الاّ ما يطيقُ

اراد فديت نفسهُ بنفسي والامثلة من ذلك كثيرةٌ فلا نطيل بها • والبيانيون يعدّون مثل هذا من باب اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر الا ان شرطهُ عندهم في المذهب الصحيح ان يكون القلب مبنياً على اعتبارٍ لطيف او مراداً بهِ نكتةٌ كالمبالغة في قول كثيّر عزّة

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المَطيّ الاباطحُ

فانهُ اراد ان يقول سالت اعناق المطيّ في الاباطح على تشبيه الاعناق في تتابع حركتها وتقاودها بالسيل الجاري في الاباطح فجعل الاباطح سائلةً بالاعناق مبالغةً لكثرتها فيها حتى صارت الاباطح كانها هي التي تسيل • ولا يخفى ان مثل هذا يكون متعمّداً من المتكلم لاجل النكتة المقصودة فيهِ فهو

يكون في الشعر والنثر -تميعاً بخلاف ما لا نكتة فيه كالامثلة المتقدمة فانهُ انما ارتُكب لضرورة الشعر وهو خروج بالكلام عن وجهه لغير مسوّغ ولا فائدة . ويقرب مما ذكر قول ربيعة بن مقروم

فاذا الشباب كمبذَلٍ انضيتهُ والدهر يبلي كل جدّة مبذَلِ

يريد جدّة كل مبذل لان المبذل لهُ جِدّةٌ واحدة فاضطرّهُ الوزن فقدّم وأخّر والمبذل الثوب يُبتذَل في الاعمال والجِدّة مصدر الجديد . ومثلهُ قول أُميّة بن ابي الصلت

والشمس تصبح كل آخر ليلةٍ . حمرآء يصبح لونها يتوردُ

وكان الوجه ان يقول آخر كل ليلةٍ . وقال عبد الله بن العجلان

فقلنا اذَن لا ننكل الدهرَ عنكمُ بصُمّ القنا اللائي الدمآء تُميرها

اراد اللائي تمير الدمآء اي تسيلها على وجه الارض فقدّم وأخّر وبدّل التركيب فجآء على حد قولك هذا الذي القوم يزورهم اي الذي يزور القوم.

ويجري في طريقه قول الفرزدق

فلستُ وان شقّت حيازيمَ نفسها من الوجد بعد ابنَيْ نوارَ بلائمِ

البيت من قصيدةٍ يرثي بها ولدين لهُ توفيا وهما اللذان عناهما بقوله ابني نوار وهو اسم زوجته . ومرادهُ في البيت فلست بلائم لنوار ولو شقّت حيازيم نفسها من الحزن بعد ابنيها فجاء بهذا التركيب الغريب . والحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر او وسطهُ وكأن الجمع هنا للمبالغة وقيل الحيازيم اضلاع الفؤاد كذا في لسان العرب . ومثلهُ قولهُ من هذه القصيدة

وقد مات خيراهم فلم يهلكاهمُ عشية بانا رهط كعبٍ وحاتمِ

يريد وقد مات كعبٌ وحاتم اللذان هما خيرا رهطهما فلم يهلكاهم اسيء فلم يهلك رهطها لهلاكها . وقال في آخر هذه القصيدة يخاطب زوجتهُ

فما ابناك الاّ ابنٌ من الناس فاصبري فلن يرجع الموتى حنين المآتمِ

فجعل ابنيها ابناً . ويقرب مما تقدم قولهُ من قصيدةٍ اخرى

فما المرء منفوعاً بتجريب واعظٍ اذا لم تعظـهُ نفسهُ وتجاربهْ

وكان الوجه ان يقول بوعظ مجرّبٍ ولا سيما انهُ يقول اذا لم تعظهُ نفسهُ فالمقابلة تقتضي ان يقابل وعظاً بوعظ . وقال الآخر

لعمري لأنتَ البيتُ اكرمُ اهلهِ وأقعدُ في افيآئهِ بالاصائلِ

يريد البيت انت اكرم اهلهِ فاقحم البيت بين انت وخبرهِ فجآء الكلام على حد قولك زيدٌ هند يحب اباها . وقولهُ وأقعد يريد واقعدهم فحذف الضمير

(ستأتي البقية)

الوثاب

بقلم حضرة النطاسيّ البارع الدكتور حبيب افندي همام
(تتمة ما في الجزء السابق)

اعراضهُ — آلامٌ نوبية تستمرّ من بضع ساعات الى بضعة ايام تبتدئ بثقل في الراس وطنين في الاذنين وطغمشة في البصر وكسل ووناء وتثاؤب وجشاء وغثيان ودوار ويعقب ذلك ألمٌ بليد في مقدم الرأس او مؤخرهِ او في احد الصدغين قد ينتقل من الجانب الواحد الى الجانب الآخر او يعم الجانبين معاً ويُشعر بجذب وألم في جميع العضلات ولا سيما في العضلات

المحاذية السلسلة الفقرية مما يلي الاضلاع المسماة في عرف العامة « بشرش (عِرق) الوثاب » وهي التي تعالَج بالفرك قصد الراحة وهي والحق يقال طريقة لا تخلو من بعض الفائدة فان فرك هذه العضلات وعركها والقبض عليها وضغطها وان عدها البعض من الترهات والاوهام قد تؤثر على المراكز العصبية تأثيراً يكون منهُ بعض الراحة وكثيراً ما يكون بهِ الشفآء

وقد لا تقف الاعراض عند هذا الحد بل تتجاوزهُ الى ما ورآء ذلك فتسوء الاخلاق وتنقبض النفس ويُعاف الطعام والشراب ويخلد الانسان الى السكينة ويطلب الانفراد طمعاً في الهدوّ وطلباً للراحة

وقد تزداد الاعراض شدةً فتضطرب الاعضآء جميعها فينخفض فعل القلب ويضعف النبض وتقلّ المفرزات فيجف اللعاب ويقل البول ويتوقف فعل الهضم وتبطل حركة الامعآء الدودية وتبرد الاطراف ويكتسي الجلد عرقاً بارداً ويُشعَر بميلٍ الى الاغمآء مما يكاد يكون من اعراض التهوُّر وكثيراً ما يصاحب هذه النوب القوية قيءٌ مزعج قد تنتهي بهِ الاعراض جميعها فينام الانسان نوماً طويلاً ثقيلاً يستفيق منهُ صحيحاً معافى

وقبل ان انتهي من الكلام عن الاعراض لا بد لي ان اذكر القرّآء الكرام انهُ ينبغي التمييز بين الصداع الذي هو من اخص هذه الاعراض والصداع الناشئ عن الامراض الدماغية والادوآء الوبيلة والحميات الخبيثة والالتهابات الحادة مما هو من خصائص الطبيب فلا نتعرض لذكرهِ بشيءٍ

علاجهُ — لا بدَّ في العلاج من معرفة الاسباب وتلافيها اذا امكن ففي استعمال الانتيبيرين والفيناستين دليل على جهل الاسباب فلا يلائم

استعمالهما الاّ عند مسيس الحاجة والعلاج الصحيح ما كان منهُ موجهاً الى السبب فان كان البرد يعالج بضدّهِ من مثل الاستدفآء والتدثر بالثياب الصوفية ووضع الساقين واليدين في المآء الحار المضاف اليهِ شيءٌ من مسحوق الخردل وصبّ الماء السخن على الراس والاستحمام بالمغاطس الحارة وعلى هذا النحو يعالج الحرّ بالبرد والتعب بالراحة والسهر بالنوم والكِظّة بالجوع والمطلة بالرياضة البدنية وهلمّ جرًّا

ولما كان السبب الاكبر في هذه الاعراض عسر الهضم وقبض الامعآء وانحراف وظيفة الكبد كان من الواجب ان يوجه العلاج اليها خصوصاً فيوافق في مثل هذه الاحوال ان يؤخذ قدر ملعقة صغيرة من سلفات المانيزا (الملح الانكليزي) او مثل هذا القدر من سلفات الصودا في كاس مآء صباحاً وظهراً ومسآء قبل الاكل وان يُقذَف في المستقيم شيء من المآء البارد فان ذلك يؤثر في الكبد تأثيراً حسناً ويُسهّل اطلاق الامعآء . وينبغي ان يعتنى بمضغ الطعام مضغاً جيدًا ويُنظر في سلامة الاضراس لان الاضراس النِقدة فضلاً عن كونها سبباً للآلام وللافعال المنعكسة ولعدم المضغ جيداً قد تكون سبباً لعسر الهضم والامراض المَعَديّة بسبب ما يجتمع فيها من المواد الفاسدة والجراثيم المرضية وعليهِ يجب ان يحشى ما كان منها نقِدًا ويستعاض عما فقد منها باضراس صناعية وعلى الجملة يقال انهُ ينبغي ان يعتنى بأمر المعدة لانها من اهمّ اسباب هذه الاعراض بل سبب كثير من الامراض ولقد صدق من قال « المعدة بيت الدآء »

ومما وجدتهُ كثير النفع جزيل الفائدة مدة هذه النوب الامتناع عن

تناول الاطعمة الجامدة والاقتصار على الاطعمة السائلة السهلة الهضم وتجرُّع كميات وافرة من الشاي على قدر ما يحتملهُ الفم والمعدة من الحرارة والاخلاد الى السكينة والانفراد في محل قليل النور بعيد عن الاصوات والضوضاء لان الحركة والنور والصوت من مهيجات هذه الالام العصبية

هذا ما يمكن استخدامهُ من الوسائط التي يتيسر لكل انسانٍ ان يستخدمها لنفسهِ واما الوسائط الدوائية والمسكنات العصبية كالانتيبيرين والفيناستين فمن خصائص الطبيب فلا يجوز استعمالها استعمالاً مطلقاً لانها تؤثر على القلب تأثيراً سيئاً . اقول ذلك تنبيهاً وتحذيراً لمن اعتاد تناول هذه الأدوية الفعالة تسكيناً للآلام العصبية وهو لا يدري من فعلها سوى تسكين الالم فقد كثر استعمالها في هذه الايام الاخيرة بين عامة الناس الى حدٍ يقضي باستلفات الانظار الى منع بيعها كما هو الشأن في سائر السموم

ولا باس باستعمال ما اعتاد الناس ان يستعملوهُ من فرك بعض العضلات وعركها والقبض عليها وضغطها فان ذلك يخدّر الآلام وينبه بعض الاعضاء الى العمل وهذا ما يُعبَّر عنهُ في اصطلاح الاطباء بالتغميز وهو كثير الاستعمال في هذه الايام وجزيل الفائدة في كثير من الامراض حتى جُعل فناً قائماً بنفسه يُعلَّم ويمارَس كسائر الفنون

اما الاطواق الحديدية التي يطوَّق بها العَضُد فمن اباطيل الاولين الا اذا صح ما يزعمهُ البعض من ان هذه الاعراض نتيجة افعال كهربائية فتكون هذه الاطواق بمثابة موصل جيد لها على نحو ما جاء في الضياء الاغر في الكلام عن علاج بعض الآلام الحُدارية فليراجع في محلهِ

هذا ما امكنني تعليقهُ مع اقراري بالعجز عن ادراك حقيقة هذه الاعراض واسبابها ادراكاً تاماً فانني في الكلام على كثيرٍ منها لم اعتمد على احد لا اعتداداً بنفسي ولا افتئاتاً برأيي ولكن لاني قلما وجدت من كتب في هذا الشأن . على ان ما جآء في الكلام عن العلاج مبني على خبرة وتجربة فيمكن الاعتماد عليهِ اعتماداً تاماً فان من اجتنب الاسباب المهيجة واستعمل الوسائط العلاجية على نحو ما ذُكر حصل لهُ النفع العظيم وقد يحصل على الشفآء التام باذن الله والله الشافي

رومية وآثارها الشرقية

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا نزيل رومية حالاً

ما زالت هذه المدينة نفس رومية القديمة ذات الشأن العظيمة وعاصمة ايطاليا وام المدائن وواسطة عقد الممالك ومرجع ساستها وفي يدها كِفة الاحزاب تميل مع من اسعدهُ الحظ منها ولم تبرح الحرَم الذي يحجُّ اليهِ اهل الدين من كل صوب والنادي الذي يجتمع اليهِ اهل العلم من كل اوب ونقطة دائرة علوم المتقدمين التي بُني عليها صرح هذا التمدن الحديث وهي المدينة التي شغلت اشهر الكتاب قديماً ولم تزل الى اليوم مطمحاً لابصارهم وغرضاً لاقلامهم يقصدها كل سنة منهم الوف للنظر في مبانيها العظيمة وآثارها القديمة الفخيمة والبحث عما فيها من الآثار العلمية والتاريخية وكلٌّ منهم يحاول ان يجد فيها ما لم يجدهُ غيرهُ ممن تقدمهُ وقد تضافروا باسرهم على احيآء هذه الآثار الجليلة ونشرها في عالم الظهور كأنهم يريدون

تخليدها مدى الدهر

ومن الدواعي التي تستغرق نظر الباحثين في هذه المدينة وتميزها عما سواها من مدن الاولين انها لم تفقد شيئاً من محاسنها ومبانيها القديمة ولا سيما بالنسبة الى شرقنا السيئ الطالع فان ما يرى في الشرق من الرسوم القليلة بعد شق النفس يرى في رومية كثيراً بل كاملاً ولا يزال قائماً ثابتاً يغالب الزمان ويكافح الحوادث. والداخل الى هذه المدينة اذا نظر الى انصابها المنتشرة في شوارعها وساحاتها والقائمة في دور آثارها وكنائسها يظن في اول الامر انهُ يرى اشخاصاً حية تكاد تنطق وهي بالحقيقة تشهد بحرص الرومان على آثار اسلافهم وتدل على تعظيمهم لرجالهم وتأليه النوابغ منهم في نصب تماثيلهم وتخليد ذكرهم . وفي هذا ما يدعو الشرقيين اليها لمشاهدة من شارك الرومان منهم في ملكهم ونشر تمدنهم ويوجب علينا الشكر لهم على حفظهم آثار سلفنا عندهم وجزيل كرامتهم لهم

وكما ان الكاتب البارع يجد فيها مجالاً واسعاً لكل ما يريد وصفهُ من معالمها ومحاسنها يجد العالم فيها ايضاً سبيلاً لكل ما يريد البحث عنهُ من العلوم والفنون القديمة والحديثة .ولا سيما الشرقية منها بل يُجد هذا فيها ما لا يجدهُ في غيرها من مدن اوروبا ولهذا يكثر فيها وعلى الخصوص في فصل الشتآء عدد المشتغلين بالعلم من المسمّين بالمستشرقين وعلمآء العاديّات حتى لقد يُعَدّون فيها بالالوف

ولا يخفى ان هذه المدينة خُصَّت دون غيرها من عواصم اوروبا بكونها مركز سلطتين عاليتين يعترف بهما كل دول الارض وكلتاهما تتنازعان

الاستقلال بالحكم والتفرد فيهِ غير ان الحرب بينهما بالاقلام لا يراق فيها من الدم الاّ سواد الحبر . وقد اتاح لها حسن الحظ ان الفريقين متفقان على ما فيهِ خير الرعية وسعادتها ورفعة شانها فهما دائماً تتباريان في نشر راية التمدن الحديث وتتسابقان الى حفظ القديم كانهما فرسا رهان كلما تقدم احدهما شوطاً ازداد الآخر جرياً واقداماً . وبسبب هذه المسابقة الدائمة كثر فيها عدد المدارس العالية والمنتديات العلمية ودُور العاديات والنفائس الى ما لا يساويها فيهِ غيرها من مدن اوروبا بالنسبة الى عدد سكانها

وليس مرادي الآن ان اصف ما فيها من المعاهد والندوات العلمية مما لا دخل فيهِ للشرقيين الاّ من اتى منهم لطلب فن التصوير الذي لا يجارى فيهِ الايطاليان وانما اقصر كلامي على ما يتعلق بالشرق والشرقيين مما تلذّ مطالعتهُ لقرآء الضيآء الكرام

فمما خُصت بهِ هذه المدينة وجود كثرة المدارس الاجنبية فيها بحيث تجد تقريباً لكل امةٍ مدرسةً او اكثر ولكلٍ من هذه المدارس اوقافٌ محبوسة عليها ينفق ريعها على لوازمها ومعاش طلبتها سعى بتأسيسها اصحاب الخير بمساعدة الاحبار الرومانيين . وللشرقيين في هذه المدارس الحظ الوافر والسهم الوافي الاان مدارسهم فيها منحصرة في المدارس الدينية الاكليريكية وليس لهم فيها مدرسة فنون او علوم عالية تقوم بها الحكومة الوطنية كما هو الشأن في كثير من ممالك اوروبا . واعظم هذه المدارس الشرقية واشهرها واهمها مدرسة البروباغندا المعروفة حيث يجتمع فيها مئات من الطلبة من كل الملل والطوائف الشرقية من بلدان شتى ولغات مختلفة

واشكال متباينة فان فيهم الهندي والصيني والياباني والعجمي والكردي والسوري والمصري والحبشي والسوداني والبويري الى غير ذلك من أمم آسيا وافريقيا وقد حضرت هذه السنة فيها حفلة ادبية قام بها بعض تلامذتها باربعين لغة حضرها اناس لا يحصى عددهم من اشراف رومية واصحاب الخُطَط والعلمآء فيها وكثيرٌ من الغربآء السياح والزوار وكانوا كلهم يسمعون هذه اللغات وكأنهم يفهمون كل ما قيل فيها فان رغبتهم في السماع وولوعهم بالغريب دَعَواهم الى حضور هذا المشهد النادر فكانوا يصفقون استحساناً اذا سمعوا لغةً رق لفظها وحسن سماعها . وتُلقى العلوم في هذه المدرسة باللاتينية والايطاليانية ويُدرّس فيها من اللغات الشرقية العبرانية واليونانية والسريانية والعربية

ولبعض الطوائف الشرقية مدارس خاصة بهم غير هذه المدرسة ومستقلة عنها الاّ في اعطآء بعض الدروس العالية واقدمها مدرسة القديس اثناسيوس للروم الكاثوليك انشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧ وخصها بالتابعين للطقس اليوناني من يونان وسوريين ومصريين وروتانيين وايطاليان وقد نشأ فيها رجال علماء من هؤلآء الامم اشتهروا بفضلهم وعلمهم ومقامهم في الشرق والغرب . غير ان قداسة البابا الحالي اجابةً لاقتراح المثلث الرحمة البطريرك غريغوريوس الاول خصها باليونان والسوريين وسلمها الى عهدة الرهبان البندكتيين بعد ان كانت بيد اليسوعيين ورفع عنها سلطة الكِردينال رئيس المجمع وصارت متعلقة بهِ رأساً وانشأ للروتانيين مدرسةً خاصةً بهم بمساعدة امبراطور النمسا ويدخل فيها

الفرنسويون والايطاليان من اصحاب الطقس اليوناني

وللموارنة ايضاً مدرسة عامرة حديثة العهد مستقلة عن مدرسة البروباغندا انشأها غبطة العلامة بطريركهم الحالي مار ايلياس الحويك حين كان مطراناً اذ سعى بمشترى محلٍ ملائم لها واحضر اليها تلامذةً نجباء وتولى ادارتها مدة طويلة وما زال يدأب في نجاحها وتقدمها الى ان استقام امرها فانتُدب الى البطريركية حينئذٍ وسلم ادارتها لعناية الاب العالم الفاضل الخوري الياس شديد الذي خلفهُ في الرئاسة عليها. وكان لهم قديماً مدرسة شهيرة نشأ فيها عدد كبير من العلمآء واصحاب المقامات العالية الذين خدموا العلم واهلهُ الخدم الجليلة الاّ انها ذهبت من ايديهم بدخول الفرنسويين الى رومية بقيادة بونابرت

وللارمن ايضاً مدرسة كبيرة انعم بها عليهم قداسة البابا الحالي ويدرس فيها عدد عظيم من طلبة الارمن الكاثوليك . ولكلٍ من هذه المدارس الاجنبية رئيس وطني ممن عُرف بسعة العلم وحسن الادارة ما خلا مدرسة البروباغندا ومدرسة الروم الكاثوليك فان ادارتهما في يد الاجانب بسبب الاختلاط واختلاف اللغات بين طلبتها وتعدد طوائفهم وطقوسهم الاّ ان الاخيرة مذ تولى ادارتها الرهبان البندكتيون الزمهم قداسة البابا الحالي ان يجروا في طقوسهم وصلواتهم وعوائدهم وملبوسهم على الطقس الشرقي اليوناني ومنع فيها دخول الطقس اللاتيني على الاطلاق

(ستأتي البقية)

كليات اميركا الجامعة

والقابها العلمية

بقلم حضرة الاديب شحادة افندي شحادة نزيل اميركا

يوجد في الولايات المتحدة اربع وخمسون مدرسة كلية ما عدا المدارس العليا التي تُعدّ بالآلاف وتختلف هذه الكليات في العظمة والاهمية فمنها ما لا ينبغي ان يُطلق عليها الا اسم مدرسة عالية ومنها ما قد خدمت البلاد في مباحثها العلمية وجمعت من اكابر الاساتذة واخرجت من الوف الطلبة ما حُقّ لها بهِ ان تُعَدّ في مصاف اعظم كليات العالم . ومن النوع الاخير تعدّ كلية مشيكن الجامعة وهارفُرد في ضواحي بوسطُن ويائيل في نيوهاڤن وكولمبيا في نيويرك . وليس في العالم بلادٌ انتشرت فيها الكليات بالسرعة والكثرة اللتين انتشرت بهما في اميركا لما أن البلاد كثيرة الخيرات وعند اهلها رغبةٌ عظيمة في التهذيب والوقوف على الحقائق العلمية ولا سيما ما كان منها وسيلةً الى اكتساب الماديات

واقدم كليّات اميركا كليّتا هارفرد ويائيل الجامعتان وكلتاهما أُسّستا في القرن السابع عشر على نظام كليات انكلترا كما ان كليات انكلترا انما اقتبست نظامها عن مدارس فرنسا وايطاليا والمانيا. ولا يُطلَق على مدرسةٍ لقب كلية (College) او جامعة (University) الا باذنٍ خاص من حكومة الولاية ويدخل تحت هذا القانون كل كلية سوآء انشئت على نفقة الحكومة او بعض ذوي الغيرة من الاهالي وسوآء كانت علمية او دينية . وكذلك فان حق منح الالقاب العلمية لا يكون الا بعد نيل الاذن فيهِ من حكومات

الولايات وهذا ايضاً مأخوذ عن نظام الكليات الاوربية وقد ابتدأت فيها هذه العادة في القرن الثالث عشر وانتشرت مع انتشار الكليات في القرون التالية

ومما يجدر بالذكر هنا ان تسعة اعشار كليات اميركا الكبرى انشئت في الخمسين سنةً الاخيرة وقد بلغ بعضها في هذا الزمن القصير الغاية القصوى من العظمة والشهرة فكلية كاليفرنيا الجامعة تُعَدّ الآن مع حداثة عهدها من كليات اميركا العظمى . ولكثير من هذه الكليات اوقاف عظيمة فان ستنفرد يونيفرستي في كاليفرنيا تحسب اغنى كلية في العالم لان مسز ستنفرد وهي التي انشأت هذه المدرسة بذلت كل ما تملك من الملايين لتأسيسها وامدادها الا ان مقامها العلمي لا يعلو مقام كلية برَون في مدينة بروڤيدنس والقابها العلمية لا تعتبر بمنزلة الالقاب التي تمنحها كلية برَون مع ان هذه دون تلك ثروةً وعدد تلامذة الاّ انها اقدم منها عهداً واعظم خدمةً للعلم . على ان مستقبل ستنفرد سيكون عظيماً جدًّا بالقياس الى سرعة نموّ كاليفرنيا وبما لديها من المال الجزيل اللهمّ بشرط ان يُطلَق للاساتذة ان يتّبعوا ما شآءوا من المباحث العلمية والدينية والسياسية والاقتصادية لانهُ متى قُيِّدت افكار الاساتذة بمذهب مخصوص فقدت الكلية مزيتها اذ الحرية في البحث والاستقلال في الرأي من أهمّ دعائم الكليات الجامعة . وقد لاحظت مدة اقامتي في كاليفرنيا وايضاً مدة اقامتي في شرقي الولايات مما قرأتهُ في المجلات ان مسز ستنفرد مقيدة المدرسة بخطةٍ لا تتعداها حتى اتفق حديثاً ان احد الاساتذة نشر مذهباً اقتصادياً مخالفاً لميل مسز ستنفرد

فأُجبر على الاستعفآء . وانما ذكرت هذا الحادث لأنبه القارئ الى ان المال ليس الاساس الوحيد الذي تبنى عليهِ الكليات الجامعة بل قد يكون احياناً حجر عثرة في سبيل الوصول الى الحقائق العلمية وعندي ان مدرسةً فقيرة فيها نفرٌ قليل من المدرسين وعددٌ يسير من الطلاب تُطلق فيها الحرية للبحث والاستقرآء اجدر بلقب كلية جامعة من مدرسة يعضدها المال الوافر ويضيَّق فيها على الافكار وتلزَم في المباحث حدًّا لا تتجاوزهُ

قلت ان منح الرتب والالقاب مقتبس عن كليات اوربا في الاعصار المتوسطة فلقب بكالوريوس علوم (.B. A او .A. B) كانت تمنحهُ عمدة المدرسة في اوربا لمن تجدهُ بعد الفحص اهلاً للتدريس وكذا لقب دكتور في اللاهوت (.D. D) ولقب دكتور في الشريعة (.L. L. D) وما شاكل ذلك فانها كانت تعطى للذي يدرس هذه الفروع في الكلية مدة مرسومة ويُثبِت عند الامتحان انهُ قد حصَّل من العلم او اللاهوت او الشريعة ما يؤهلهُ لنيل تلك الرتبة . وكذا في اميركا فان كلية هارفرد في القرن السابع عشر نالت من حكومة انكلترا الاذن في اعطآء الالقاب العلمية بعد الفحص ثم لما تحررت البلاد وكثرت الكليات صارت تستمدّ هذا الحق من حكومة كل واحدة من الولايات التي أُنشئت فيها

ويوجد في العالم العلمي ما ينيف على مئتي لقب ولا نعني بهذا ان كل واحدة من الكليات تمنح هذا العدد من الالقاب فان هارفرد مثلاً تهب اثني عشر لقباً وييل تعطي خمسة عشر ومشيكن تمنح عشرين ولاجل ذلك يصعب عليَّ ان ابين ماهية كل لقب واشير الى اهميتهِ ومعناهُ . على انهُ

يوجد خمسة القاب تمنحها جميع كليات العالم العظيمة بالتقريب وخصوصاً في اميركا وهي (١) لقب بكلوريوس علوم (A. B.) • (٢) لقب معلم علوم (M. A.) • (٣) دكتور في الفلسفة (Ph. D.) • (٤) دكتور في اللاهوت (D. D.) • (٥) دكتور في الشريعة (L. L. D.) • وهذه ما خلا لقب دكتور في الطب (M. D.) فانهُ من خصائص المدارس الطبية (ستأتي البقية)

متفرقات

حمام الزاجل عند المتقدمين – يؤخذ من خطبةٍ القاها احد علمآء اليونان في الندوة العلمية بآثينا ان استخدام هذا الحمام في المراسلات قديمٌ جدًّا وقد ورد ذكرهُ في التاريخ من قبل الميلاد باربعة قرون • وذلك ان رجلاً من سكان جزيرة اغويل يقال لهُ تورُستان قدم اولمپيا للدخول في العابها المشهورة فاوتي فيها الفوز على اقرانهِ وكان الفوز في هذه الالعاب يُعدّ من اعظم المآثر عندهم • وكان قد استصحب معهُ حمامةً من هذا النوع فلما ادرك هذا الفوز المجيد اطلق الحمامة بعد ان ناط الى رجلها خرقة حمرآء فلم تلبث ان عادت الى الجزيرة فبلغت هذه البشرى اباهُ في مسآء ذلك اليوم

تقلُّص جرم الشمس – مما تحققهُ علمآء الهيئة ان الشمس يتقلص جرمها يوماً فيوماً بما ينبعث عنها من الحرارة على الدوام • وقد وقفنا على

كلام للسير روبرت هال الفلكي الانكليزي الشهير قدّر فيه ان هذا التقلص يكون نحواً من ٣ سنتيمترات في اليوم وبالتدقيق سنتيمترين و ٨٥٩، من السنتيمتر فيبلغ في القرن ما يزيد على كيلومتر . وعليهِ فمن اول التاريخ الميلادي الى اليوم تكون الشمس قد نقص قطرها ما يقرب من ٢٠ كيلومتراً

فوائد

تنظيف الاواني الفضية — يؤخذ جزآن من ابيض اسبانيا وجزآن من زبدة الطرطير وجزء من الشبّ وتُسحَق معاً ثم يؤخذ من هذا المسحوق ويداف بقليل من المآء وتُفرَك بهِ الآنية الفضية بقطعةٍ من النسيج الناعم وبعد ذلك تُغسَل بالمآء النقي وتُمسَح. ويحسن ان تنشف قبل المسح بنشارة الخشب الناعمة

تركيب اساطين الفونغراف — لذلك عدة تراكيب وقفنا على بعضها فاحببنا ذكرها افادةً للذين يهمهم هذا الشأن وهي هذه

(١)		(٢)		(٣)	
شمع عسلي	١٠٠ غرام	بارافين	١٠٠ غرام	بارافين	١٠٠ غرام
شمع كرنوبا	٣٠ «	شمع عسلي	١٠٠ «	شمع كرنوبا	٢٥ «
		شمع كرنوبا	١٠٠ «		

حفظ اللبن — وصف لذلك بعض المجرّبين ان يوضع في قصعة اللبن

ملعقة من بُشارة الفجل الحرّيف البرّي فيُحفظ بهذه الطريقة عدة ايام دون ان يدخل عليهِ فساد حتى مع تعريضهِ للهوآء المطلق

اسئلة واجوبتها

دوما (لبنان) — مرَّ بي في بعض مطالعاتي قول القائل « قد والله استحييت من خلافك » ولم أرَ قد في غير هذا الموضع مفصولةً عن الفعل فهل هذا التركيب صحيح . ثم اني رأيت بعض الصرفيين يقول عند ذكر احرف العلة « حروف العلة » مع انهم نصّوا على ان صيغة فُعول للكثرة فما وجه هذا الاستعمال داود بشير

الجواب — اما المسئلة الاولى فجآء في مغني اللبيب في الكلام على قد ما نصهُ . واما الحرفيَّة فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس وهي معهُ كالجزء فلا تُفصَل منهُ بشيء اللهمَّ الاَّ بالقسم كقولهِ

اخالدُ قد والله اوطأتَ عشوةً وما قائل المعروف فينا يعنَّفُ

واما استعمال جمع الكثرة موضع جمع القلة فهو تسامح سهّلهُ ان كثيراً من الاسمآء ليس لها الاَّ جمعٌ واحد يستعمل للقلة والكثرة مثل افراس واعنة ومثل فرسان ورجال فلما لم يطرد الجمعان لكل مجموع استُسهل وضع احدهما مكان الآخر الاَّ ان الجري على الاصل حيث امكن اولى

القاهرة — ذكرتم في الجزء الثاني من مجلة هذه السنة (ص ٥١) ان عدداً كبيراً من الذين عرضوا في الجندية أُرجئ قبولهم بسبب صغر قاماتهم فكم ينبغي ان يكون طول قامة الجندي مستفيد

الجواب — متر و ٥٦ سنتيمتراً

القاهرة — قرأت في احدى الجرائد الكبرى « انتضى فلان لهذا الامر » بمعنى انتدب لهُ وهي ثاني مرة رأيت هذه اللفظة فهي مما نبت من عهدٍ قريب ولعل عمرها لم يتجاوز عشرة ايام غير اني اخشى ان لا تُتمّ الشهر حتى تشيع في الجرائد جميعها فما قولكم في صحتها عبده داود

الجواب — لم يأتِ في تفسير هذه اللفظة الاّ قولهم انتضى السيف اي استلهُ وانتضى الثوب اي اخلقهُ بكثرة اللبس مثل انضاهُ وانتضى في يدهِ اسهماً اي اخذها واستخرجها من كنانتهِ فانظروا الى اي هذه المعاني تردّونها …

القدس الشريف — قد صححتم في ضيآئكم الساطع اغلاطاً جمة مهمة وردت في بعض الكتب المطبوعة في مطبعة الآبآء اليسوعيين في بيروت فشكر لكم كل اديب هذه الخدمة العلمية المجانية التي كشفت لنا الستار عن حال تلك الكتب ونبهت كل مطالع الى التحذر من الاسترسال اليها والنقل عنها

وقد وقع لي في هذه المدة اني بينما كنت اطالع في كتاب « الالفاظ الكتابية » المطبوع في المطبعة المذكورة عثرت على اشيآء لم اهتدِ الى صحتها

فجئت ملتجئاً الى اشعة ضيائكم المنير راجياً ان تكشفوا لي عن الصواب في المسائل الآتية وهي قليلٌ من كثير مما سآتيكم بهِ ان اذنتم لي وأسال الله ان يكافئكم عني وعن المستفيدين خيراً

جآءَ في صفحة ١١ من هذا الكتاب في باب العفو ما نصهُ « وسحبت على ما كان منهُ ذيلي وأغضيت عليهِ جفني وعركتهُ بجنبي وكظمت غيظي وأبقيت عليهِ وأرعيت عليهِ وجعلتهُ تحت قدمي » . ولا يخفى ما في بعض هذا الكلام من الاضطراب والخفآء الا ان جميعهُ مستسهل عند قولهِ « وجعلتهُ تحت قدمي » فان المفهوم منهُ انهُ بمعنى ما قبلهُ اسيء بمعنى « ابقيت عليهِ وأرعيت عليهِ » فكيف ذلك

وفي ص ١٨ « بيني و بينهُ شأنٌ وعداوة و بغضآء » ومقتضاهُ ان الشأن بمعنى العداوة لكنني لم اجدهُ في كتب اللغة بهذا المعنى فهل نجعلهُ من المستدركات على مصنفات اللغويين ام لهُ محملٌ آخر نحملهُ عليهِ

وفي ص٢٠ في باب اسكان الغيظ « إربعْ على نفسك وضَلعك » والذي رأيتهُ في كتب اللغة ان الضَلَع بمعنى الميل والهوى فكيف نفسرهُ في هذا الموضع

وفي ص ٢١ في باب الثلب والطعن « انكرت على فلان ما صنع وانكرتهُ ونكّرتهُ ومنهُ قولهُ نكِّروا لها عرشها اي غيّروهُ » ما معنى هذا الكلام وما مدخل تنكير العرش في الثلب والطعن ثم ما المراد بتكرار لفظ انكرت في اول الكلام ارجو الافادة ببيان ذلك كلهِ ولكم الفضل

يوسف الفتال

الجواب - اما الموضع الاول فالظاهر انهُ قد وقع فيهِ تقديم وتأخير في ترتيب الجُمَل أدّى الى هذه الصورة المضحكة وهو الخش ما يُتصور من ضروب التحريف والافساد . والذي يدل عليهِ السياق ان قولهُ « وجعلتهُ تحت قدمي » كان في الاصل بعد قولهِ « وعركتهُ بجنبي » فيكون الضمير من قولهِ « جعلتهُ » عائداً على ما الموصولة من قولهِ « سحبت على ما كان منهُ ذيلي » ويكون المعنى وجعلت ما كان منهُ تحت قدمي اي سترتهُ وتناسيتهُ

واما قولهُ « بيني وبينهُ شأن » فقد تحرفت هذه اللفظة على مصحح الكتاب وصوابها « شنآن » بنونين بينهما همزة ممدودة مصدر شَنِئتهُ بمعنى ابغضتهُ

واما قولهُ « اربع على ضلعك » فصوابهُ « على ظَلْعك » بالظآء المشالة ومعنى اربع أَقِمْ والظلع شبيه بالعَرَج وهو ان يغمز الرجل في مشيهِ والعبارة مما يجري مجرى المثل يريدون بها ان يقيم الانسان على عيبهِ ولا يتعرض لكشف مساوئهِ

واما قولهُ « انكرت على فلان ما صنع وانكرتهُ » فصواب الثاني « ونكِرتهُ » من باب علم وهو بمعنى انكرتهُ . وقولهُ « ونكّرتهُ » بالتشديد الى آخرهِ الظاهر ان هنا شيئاً ساقطاً لان التنكير لا يجيء بمعنى الانكار. على ان هذه العبارة خارجة عن سياق الفصل كما لا يخفى ولذلك نظن انها دخيلة على المتن زادها بعض الواقفين على الكتاب فعلقها على الهامش او بين السطور ثم ادخلها الناسخ في المتن لظنهِ انها من اصل الكتاب وكأنَّ الاصل

فيها « يقال انكرت الشيء ونَكِرتهُ اذا عبتهُ ونكَّرتهُ بالتشديد اي غيَّرتهُ ومنهُ قولهُ نكِّروا لها عرشها » الى آخرهِ فتصرف الناسخ فيها على قدر فهمهِ وعلمهِ . ولهذا الموضع نظائر في الكتاب هي السبب في كثيرٍ مما يُرى فيهِ من الاضطراب والتعمية ولنا في هذا المعنى مزيد بيانٍ نرجئهُ الى غير هذا الموضع

آثار ادبيّة

كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر ـ أُهدي الينا الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل وهو من تأليف حضرة السريّ الالمعي ابرهيم فوزي باشا ابتداؤهُ من تعيين غردون باشا حاكماً على خط الاستوآء وتتبع ما ورآء ذلك من الحوادث السودانية وما كان من دعوة المهديّ وحروبهِ الى سقوط الخرطوم ومقتل غردون . والكتاب سهل العبارة واضح الادآء يشتمل على كثيرٍ من غريب اخبار تلك البلاد وتواريخها وعادات اهلها واخلاقهم الى غير ذلك من الفوائد النادرة التي لم يسبق تسطيرها في غير هذا الكتاب

وهذا الجزء منهُ يشتمل على اربع مئة صفحة كبيرة جيد الطبع والورق وهو يطلب من ادارة المؤيد الاغر وثمن الكتاب كلهِ خمسون غرشاً يُدفع نصفها عند استلام الجزء الاول والبقية عند تمامهِ

فكاهات

رواية

عواقب الغدر[1]

١

في اليوم الثامن من شهر ايلول سنة ١٨٥٥ استولت جنود الدولة العلية وفرنسا وانكلترا والبيامون على مدينة سبستبول بعد حصار شديد وحرب عوان دامت نحو سنة وانسحب الروسيون متشتتين تحت كل كوكب . ولم يكن الليل الذي عقب القتال بأقل هولاً منهُ فقد تلا دويّ المدافع هزيم الرعود وعصف الرياح والزوابع وكأن الروسيين ابوا الا ان يقتفوا آثار اجدادهم في موسكو فاضرموا النار في جوانب المدينة فلم تبق ولم تذر و بذلك اكملوا تخريب ما عجزت القنابل عن تخريبهِ في مدة احد عشر شهرًا ولم يتركوا للمنتصرين سوى معالم دارسة ورسومٍ طامسة

وكان الجنود قد نهكهم التعب ومالت اعناقهم من الكرى فتوسد بعضهم الحجارة و بات آخرون لا يطمئن جنبهم الى مضجع فاخذوا في المسامرةِ والحديث وفيما هم يتناقلون حوادث نهارهم وقد كادت تلوح طلائع الفجر اذا برجلٍ يسير الى جهة المعسكر الفرنسوي فعرفهُ احدهم فقال هذا هو الضابط مالوري . ووقف الضابط هنيهةً يدير نظرهُ فيما حولهُ من اشلاء القتلى وعلى يمينهِ معسكر الجنود المتحالفة وعلى يساره فرضة سبستبول و بينهما المدينة التي تحالف الحديد والنار على تخريبها فادرك من اول لمحة ان الروسيين لم تعد تقوم لهم قائمة فتغير وجههُ وانقبض ثم ضرب الارض برجلهِ وقال افٍ لي وتبًا لشقائي فهذه الحرب قد انقضت وانقضت معها

(١) ملخصة عن الفرنسوية بقلم سليم افندي العقاد

آمالي وساعود عنها كما اتيت لم ابلغ رتبةً ولم احظَ بوسام ان هذا لمما تعضّ عليهِ الانامل حسرةً وغيظًا ويشهد الله لولا حليلة لي وابنةٌ تركتهما على احرّ من الجمر لاستقلت في الحال . وفيما هو على ذلك اذ ترآءى لهُ شبحٌ يتسلل في الظلام فاسرع اليهِ فاذا هو رجلٌ روسي من رعاع الشعب فاخذ الضابط بتلابيبهِ وصاح بهِ من انت . فارتعدت فرائص الرجل فرقًا وقال رحمةً يا مولاي . قال من انت قلت لك . قال انا ايفان غو بين اتيت لاعرف ما آلت اليهِ الحرب فتعسفت . قال تكذب يا شقي بل انت تسرق الموتى اشياءهم ثم صوّب مسدسهُ الى صدرهِ فصرخ قائلاً اعفُ عني يا مولايَ فاقاسمك ما غنمت . فمدّ الضابط عنقهُ وقد شام بارقة امل فقال ويحك وما غنمت . قال هذه الالماسة اولاً . قال ثم ماذا . قال ثم هذا النوط فتأملهُ فاذا فيهِ صورة امرأة فتأثر مالوري لهذه المرأة التي فجعتها صروف الدهر بمن تحب وودّ لو ينظر الرجل الذي أُخذ منهُ لعلهُ ينقل الى ذويهِ وصيتهُ اذا وجدهُ حيًا . فالتفت الى الروسي وقال اذا دللتني على صاحب هذا النوط سمحت لك بتفتيش ما بقي . فسار بهِ الى منعطف واد هناك واشار الى جثة ضابطٍ في نضارة الحياة فمد مالوري يدَهُ الى جيبهِ فوجد بطاقة عليها اسم الكنت جاك دي مادراي . فاقبل عليهِ فأحسّ بخفقان في قلبهِ فصاح قائلاً هو حي . فاستطير فؤاد ايفان روعًا ثم اعطى الضابط زجاجة فيها شراب ورجع على اعقابهِ . فسقى الضابط الجريح جرعةً منها فلم يلبث ان فتح عينيهِ وتنهد ثم نظر فرأى مالوري امامهُ فقال لك مني الف شكر يا مولاي فان رحمة الله ابت الا ان اكفل لولدي القاصر امر مستقبلهِ قبل موتي فانت فرنسوي مثلي وضابط مثلي أفتريد ان تسمع طلبة مائت . قال بل تعيش ايها الكنت فان حالتك على ما أرى لا تنذر بسوء . قال بل هي أسوأ مما تظن فاستمعني قال قل فاني مصغ . فجمع جاك دي مادراي قواهُ وقال على نحو خمسة اميال من هنا منزل تسكنهُ امرأة غضة الشباب تدعى صوفيا ستروسكا كنت على وشك الاقتران بها لو لم تفرّق بيننا الاقدار فاذهب اليها وقل لها اني اوصيها بابني فلتجعلهُ تحت رعايتها فاذا لم تستطع ذلك فاطلب منها الامانة التي استودعتها اياها وهي اوراق مالية بقيمة

مئتي الف فرنك وسلمها الى محرر المقاولات روبنتال فهو وكيلي ويقيم في الهفر . ذلك ما انتظر منك يامولاي وانا واثق ان السيدة صوفيا ستكفيك كل هذه المشقة . وقدكنت عهدت بسرّي الى جاويش من فرقتي يقال لهُ جابين الا اني رأيتهُ سقط في اول هجوم . قال مالوري سيكون ما تريد وساعتني بولدك كانهُ ولدي ولكن اما من علامةٍ تعرّف السيدة صوفيا اني آتٍ من قبلك . قال بلى فخذ ثم فتش في جيبهِ فلم يجد شيئاً فقال اوّاه لقد سرق مني . قال لهُ مالوري وقد وضع النوط امام عينيهِ أهذا ما تفتش عنهُ يا مولاي. فتنهد الجريح ملياً ثم همس بصوت خافت استودعك الله يا حبيبتي صوفيا وفاضت روحهُ . فوقف مالوري حيناً منحنياً امام هذه الجثة الهامدة تتجاذبهُ تيارات الافكار وقد رأى انهُ سنحت لهُ ثروةٌ هي نهزة المختلس وخلسة المفترس فصمم ان يتذرع الى الاستيلاء عليها

وبعد ثلاثة ايام استأذن مالوري قائدهُ وسار على جوادهِ وقد بدّل ملابسهُ العسكرية بثوب قروي حتى بلغ المنزل الذي اشار اليهِ دي مادراي فدخل على السيدة صوفيا وتلطف بابلاغها نبأ وفاة الكنت فتحدرت الدموع على وجنتيها تحدر الطلّ على الزهر . ثم سلم اليها النوط وذكر لها وصية الكنت فقالت هي مقضيةٌ باذن الله وقد وطنت النفس على ان اخصص هذا الولد اليتيم بمبلغ مئتي الف فرنك من ثروتي فوق ما ترك لهُ والدهُ حتى اذا قضي عليّ قبل ان يبلغ اشدّهُ يكون في حالة تمكنهُ من اللحاق بنظرآئهِ واكفآئهِ . ولو انها حدّقت بنظرها في تلك الساعة الى وجه مالوري لذُعرت من تغير لونهِ وشخوص بصرهِ عند علمهِ بوجود هذه الثروة الطائلة تحت طائلة يدهِ فاراد ان يستوثق لنفسهِ فقال أولم يكتب الكنت وصيتهُ . قالت لا ولكنهُ كتب قبيل سفرهِ الى وكيلهِ في الهفر رسالةً يوضح لهُ فيها رغبتهُ ويذكر لهُ في اثنآئها ارقام اوراقهِ المالية المستودعة عندي . فقال مالوري في نفسهِ لا بد من اخفآء هذه الرسالة . ثم اردفت كلامها قائلةً الا تتكرم يا سيدي بالبقآء هنا الى الغد فانت صديق دي مادراي وموضع سرهِ فلعلي استشيرك في بعض اموري . قال انا على ما تريدين . فخرجت وبقي هو في الغرفة وقد صمم على اتيان فعلتهِ في

تلك الليلة . فلما انتصف الليل اعار اذناً صاغية فلم يسمع سوى حفيف النسائم فتفقد الخدم فاذا كلهم نيام فنزل الى الحديقة وجمع حزمةً من العيدان وصعد بها الى غرفة السيدة صوفيا فرآها على نور سراج ضعيف مستلقية على ظهرها فتناول منديلاً وشد بيدهِ على انفها ففتحت فاها فوضع فيهِ المنديل فانتبهت مذعورة وقبل ان تدرك حقيقة ما المّ بها القى احراماً على وجهها ثم لفها باللحاف وشد وثاقها شداً محكماً واضرم النار . ثم عمد الى الخزانة فاخذ منها علبتين فاحتملهما وخرج وكان جوادهُ مسرجاً فامتطاهُ وسار لا يلوي على شيء حتى بلغ المعسكر ففتحهما فوجد في الاولى اوراقاً مالية بقيمة اربع مئة الف فرنك وفي الثانية جواهر وحلى ثمينة تساوي مثل هذه القيمة فوضع الاوراق والجواهر في صندوقهِ وجعل العلبتين طعاماً للنار

ولما كانت الحرب قد وضعت اوزارها او كادت استأذن مالوري في العود الى الوطن فاذنَ لهُ فعاد وفي عزمهِ ان يجعل البحر بينهُ وبين جنايتهِ . حتى اذا بلغ منزلهُ علم بموت امرأتهِ في الليلة الواقعة بين ١١ و ١٢ ايلول وهي التي ارتكب الجناية فيها فذُعر لهذا الاتفاق الغريب وجعل يضرب اخماساً لاسداس . وكان يزيد في هواجسهِ امر التخلص من الجواهر المسروقة اذ كان يستحيل عليهِ مبيعها في باريس لتيقظ رجال الشحنة فيها فسافر الى لندرا وهناك تمكن من بيعها بقيمة اثني عشر الف ليرة انكليزية . فقبضها في الحال وعاد قاصداً الهفر فتعرف بمحرر المقاولات وعرّفهُ بنفسهِ واقام هناك اياماً تمكن في خلالها من استطلاع ما يريد وعلم بموضع رسالة الكنت . فبينما هما ذات يوم يتنزهان ومعهما نوتي يقال لهُ بيكايل عرض مالوري عليهما نزهةً بحرية فاجاباهُ ثم اخذوا فلكاً وساروا بهِ يمخرون عباب اليمّ حتى اذا بعدوا عن الشاطئ قليلاً اخترط مالوري خنجرهُ وطعن بيكايل في صدرهِ فالقاهُ صريعاً ثم رمى بنفسهِ في البحر ودفع الفلك بساعد شديد فانقلب وراح الشيخ والنوتي في قعر اللجة ثم جعل يصرخ ويستغيث واتفق مرور سفينة بالقرب منهُ فاسرع بحارتها الى انقاذهِ ولما بلغ البر دخل منزل محرر المقاولات لاخذ ثيابهِ وصادف من الخدم غفلةً فانتزع الرسالة المعهودة فمزقها وحسب ان جنايتهُ سوف تختفي بين المآء والنار...

٢

على ساحل نرمنديا بين ديف وتريفيل بلدة حديثة البنآء يقال لها هلكات قائمة في اجمل بقعة من بقاع كلفادوس في سفح آكام رملية . وكان في جملة ابنيتها دار قديمة العهد مبنية بالآجرّ قائمة على نشزٍ عالٍ وتعرف بالصومعة . فلما كانت سنة ١٨٥٧ قدمها زائران احدهما رجل يناهز الخامسة والاربعين من العمر قوي البنية والثاني فتى لا يتجاوز الثانية عشرة من سنيهِ وضيء الطلعة بشعرٍ اشقر ينال فرعهُ كتفيهِ ونظرٍ يشفّ عن ذكآء وانفة . وكان الفتى دانيال دي مادراي والآخر وليهُ الجاويش جابين وقد قضى مدةً في اسر الروس فلما عاد وعلم بموت ضابطهِ واحتراق منزل السيدة صوفيا وغرق محرر المقاولات ورأى ابن مولاهُ اصبح بلا نصير ولا ثروة لم يقنط من تتابع هذه النكبات بل أخذ الفتى تحت عنايتهِ ووقف عليهِ جميع اهتمامهِ الى ان بلغ السابعة عشرة من عمرهِ واصبح قوي الاسر كامل التهذيب ذا منظر ورواء

وكان بين ڤيلرس وهلكات قصر شاهق يخص البارون دي بريكور وهو كهل في الستين من العمر ذو ثروة طائلة ولهُ فتاةٌ اسمها ادمآء

كانها صورت من مآءِ لؤلؤةٍ   في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

عرضت لدانيال في احدى غدواتهِ وروحاتهِ فملكت لبهُ وخلبت قلبهُ واستولت على جميع عواطفهِ ورأت هي في وجههِ صباحةً وفي اخلاقهِ رقةً مع شرف اثيل وحسبٍ باذخ فاصابها ما اصابهُ فتعاهدا وتواعدا . وكان والدها يقضي اكثر ايامهِ في باريس فكانا يصرفان الساعات الطوال يتشاكيان لوعة الصبابة ويتساقطان حديثًا كأنهُ الروض الممطور . وباح لها دانيال بهواجسهِ وخوفهِ ان يرفض عليهِ والدها يدهـا لضيق ذات يدهِ فسكنت بالهُ وعاهدتهُ على ان لا ترضى منهُ بديلاً

* * *

عاد البارون دي بريكور من باريس فخلا بابنتهِ وقال لها لقد بلغت يا عزيزتي السن التي تدعوكِ الى انتخاب كفوءٍ لكِ قبل ان تصبحي وقرًا على عاتق ابيكِ وان اميرا من عظمآء الروس طلب اليّ يدكِ أفلا ترغبين في ان تدعي اميرة .

فاطرقت ادمآء هنيهةً وهي تفكر ثم قالت اما الامارة يا أبتِ فلا رغبة لي فيها واما الزواج فاذ قد تقدمت اليّ بوجو بهِ فانا لا اخفي عليك اني محبة محبوبة . قال ومن تحبين. قالت فتى لا كالفتيان . قال فما اسمهُ . قالت دانيال دي مادراي . فلم يكد هذا الاسم يقرع سمعهُ حتى هبّ من مكانهِ مذعورًا ودفعها عنهُ بعنف واخذ العرق البارد يتحدر على خديهِ . فارتاعت ادمآء لتهيج ابيها وجعلت تستعطفهُ فقال لها لقد نكأت فيّ جرحًا كامنًا ياعزيزتي ولكن لا بأس عليكِ فدعيني الآن وشأني ولا يدخل عليّ احد . فخرجت الفتاة وبقي هو في الغرفة شاخص البصر ثم قال هذه ضرباتك ايها القضآء فان ابنتي تحب الولد اليتيم الذي خنت والدهُ وسلبت ثروتهُ وقتلت انصارهُ فيا جاك دي مادراي هل حان اوان انتقامك . ثم استولت عليهِ قشعريرة فجعل يرتعد وتمثل جرائمهُ امام عينيهِ فصرخ قائلاً ويل لي انا الخائن . هوذا الضابط دي مادراي ... هوذا روبنتال و بيكايل ... ويلاه هذا خيال السيدة صوفيا ... دخلوا عليّ ... اوثقوني ... ارحموني ارحموني ...

وما زال على مثل تلك الحال الى ان اضآء النهار فعاد الى نفسهِ وتذكر حديث ابنتهِ وحبها فقال أيمكن ان يختلط دم القاتل بدم المقتول ... ايقضى عليّ ان يبقى هذا الفتى نصب ناظري وادعوهُ ولدي ... أجل . تلك كفارة اكفر بها عن جرائمي فاردّ لهذا اليتيم على يد ادمآء ثروتهُ المسلوبة واحقق سعادتهُ وسعادة ابنتي في آن واحد . ثم دخلت عليهِ ادمآء فاعلمها برضاهُ عن زفافها الى دانيال فكتبت اليهِ تبشرهُ وتستدعيهِ وايقنا ان السعادة اصبحت منهما على حبل الذراع .

وبينما الجميع هناك يتوقعون زفافًا مشهودًا اذا بعربة فاخرة قد وقفت على باب القصر وخرج منها رجل يقارب الاربعين من العمر فاستقبلهُ البارون بالحفاوة والاكرام ودخل بهِ القصر على الرحب والسعة . فلما كان المسآء بعد العشآء وقد خلا البارون بزائرهِ قال لهُ ما اقدمك الينا ايها الامير . قال ذكرت وعدك لي في باريس فحضرت . قال واي وعد تريد . قال وعد الزفاف . قال وعدتك بيد ادمآء على شرط قبولها ولكني لما عدت وجدتها قد ارتبطت بحب غيرك فخيرٌ لك ان تعدل

الى سواها . قال بل انا اتذرع بوالدها الى نيل رضاها ولا اثني عن عزم عزمتهُ . قال لقد ابعدت مذهبك في المزاح ايها الامير وعليهِ فانا ارفض طلبك رفضاً باتاً . قال يسوءني ذلك ايها البارون واراني مضطرًّا الى تذكيرك سالف العهد بيننا . قال وما تعني بذلك وهل تعرفني انت من عهد بعيد . قال عرفتك يوم كنت تدعى بلقب الضابط مالوري . عرفتك يوم اوحى اليك الكنت دي مادراي آخر كلماتهِ وهو يجود بنفسه . عرفتك يوم حاولت خنق السيدة صوفيا ستروسكا في سريرها بعد ان اضرمت النار في منزلها وسرقت مالها ومال اليتيم ويوم كنت ادعى انا ايفان غوبين ولكني احمد الله على اني تمكنت من تخليصها مختلة العقل وهي الى الآن في قصري حيةٌ ترزق وكلمة واحدة منها كافية لهلاكك . وكان البارون مالوري يسمع كل ذلك وهو مشرّد البصر لكنهُ لم يلبث ان انتصب كأنهُ مدفوع بنابض كهربائي وقال ان من الاسرار ما يقتل صاحبهُ وهذا واحد منها فيا ايفان غوبين اذا كنت تعرف صلاةً فاتلها لانك ستموت . ثم انتزع سيفين من الجدار وقدم الى الروسي واحداً منهما فلم يتحرك . فقال لهُ اذا رفضت المبارزة فاعلم اني اقتلك كما تقتل الكلاب . فقال لهُ الروسي غير متأثر ولكني اذكرك انك اذا قتلتني لا يلبث ان يسقط رأسك على النطع ولقد ساءَ فألك اذ توهمت اني اغرّر بنفسي بين يدي لص قاتل نظيرك فاعلم اذن اني قبل مزايلتي باريس كتبت رسالة مطولة لم اغفل فيها شيئاً من وقائعك الطيبة الذكر وسلمتها الى عهدة صديق لي اثق باخلاصهِ وفوضت اليهِ تسليمها الى الحاكم اذا لم اعد اليهِ في مدة ثمانية ايام . فاذا أضيف الى هذه الرسالة شهادة السيدة صوفيا والجاويش جابين فانت ادرى بما يكون اذ ذاك اما الآن فدونك صدري فاضرب ان استطعت . وكان ذلك اكثر مما يستطيع مالوري احتمالهُ فتلجلج لسانهُ واصطكت اسنانهُ ووقع مغشياً عليهِ فقال الروسي في نفسهِ هذا خير ما كنت اتوقع ثم أغلق عليهِ الباب وخرج فدعا ادماءَ فلما اقبلت انقضَّ عليها فاخذها بين يديهِ ووضعها في عربة كانت تنتظرهُ وسار بها في طريق باريس

* * *

مرّت خمسة عشر يوماً على ادمآء في باريس وحولها الحراس من خدم الامير وهو كلما اجتهد في استرضآئها زادتهُ نفوراً واشمئزازاً الى ان عيل صبرهُ واعيتهُ فيها الحيل فباح لها بجنايات ابيها واحدة واحدة وخلاص السيدة صوفيا على يدهِ مختلة العقل واحتفاظهِ الشديد عليها في القيود لاجبار ابيها على الاذعان لرغائبهِ وقبولهِ صهراً له ُواذ ذاك

لم ترَ الاّ دموع باكيةٍ تسفح من مقلةٍ على خدِّ
كأنّ تلك الدموع قطر ندًى يقطر من نرجسٍ على وردِ

وجعل الامير في خدمتها رجلاً روسيّاً يقال لهُ الكسيس فاستمالتهُ اليها بوعدها اياهُ باطلاقهِ من ربقة الاستعباد وتمكنت بواسطتهِ من مراسلة خطيبها فذكرت لهُ عزمها على الهرب مع الاسيرة الثانية المجنونة واوصتهُ ان يكون على حذر

فلما كان مسآء احد الايام اوعز الكسيس الى ادمآء ان تكون على استعداد حتى اذا ارخى الليل سدولهُ وكان الامير خارج المنزل تقلد خنجراً دقيقاً ودخل غرفة المجنونة فتهدد حارستها بالقتل ان تكلمت وبعد ان اوثق يديها ورجليها وسدّ فاها بمنديل دعا ادمآء فاقتربت من المجنونة وفكت قيودها وما زالت تلاطفها وتتملقها الى ان سكنت اليها فقادهما الكسيس الى العربة فدخلتاها واغلقتا رتاجها . ثم اقبل الحوذي فاستوى على كرسيهِ وجلس الكسيس الى جانبهِ حتى اذا خرجوا من القصر هجم اثنان على العربة هما دانيال وجابين فوقفاها واخرجا من فيها . وفي اسرع من لمح البصر وثب الكسيس الى الارض ووخز احد الجوادين بخنجرهِ فهاج حتى تعذر على الحوذي كبح جماحهِ ولم يلبث ان غابت به العربة في منعطفات الطريق

فهنأ دانيال وجابين ادمآء بخلاصها من يد ذلك الظالم وشكروا جميعهم للكسيس سعيهُ وساروا الى قصر دي بريكور الذي كان على مقربة من هناك فوجدت ادمآء فيهِ رسالة من ابيها يهبها فيها مليوني فرنك بائنة (دوطة) ويجعل لها الخيار بان تقترن بمن تشآء . ولما علم الامير الروسي بفرار سجينتيهِ زأر زئير اللبوة عورضت في طريقها الى اشبالها وقال ويلٌ للخائنة فستعلم كيف يكون الانتقام ثم ذهب فاقام عامة نهارهِ

حول قصر دي بريكور يترصد . وفي المساء كان موعد اجتماع دانيال بوكيل ادماء فخرج مع جابين ورآهما الامير فدخل تحت حجاب الظلام والخدم مشغولون عن مراقبتهِ وصعد الى غرفة ادماء في الطبقة العلوية وفي يديهِ خنجر ومسدس . فذُعرت لمرآهُ وارادت الكلام فقال لها عند اول حركةٍ اوصوتٍ تبدينهُ فانا قاتلكِ ثم وضع اسلحتهُ على المائدة وتقدم فاقتلع ربط الستائر وبينا هو يحاول ان يشد بها وثاق ادماء اذ حانت منهُ التفاتة فاذا امامهُ مشهدٌ هائل تشيب لهُ رؤوس الاطفال . رأى المجنونة تتقدم نحوهُ بقدم ثابتة كأنها القضاء المبرم وهي محلولة الشعر جاحظة العينين وفي يمناها و يسراها مسدسهُ وخنجرهُ فتقلصت شفتاهُ وارتجفت اعضاؤهُ وتخاذلت ركبتاهُ وللحال سمع دوي كأنهُ الرعد القاصف فتراكض الخدم على صوت الرصاص فوجدوا الامير مطروحاً على الارض جثةً لا روح فيها وادماء مغشياً عليها والمجنونة تقهقه ضاحكة لانتقامها ممن تولى تعذيبها مدة عشر سنوات في القيود والاغلال . و بلغ الامر زعيم الشحنة فحضر ولما تحقق ان غريم المقتول امرأة مجنونة تركها وانصرف وذهب دم الذي كان يدعى في سالف ايامهِ ايفان غوبين هدراً

اما البارون دي بريكور فلما رأى نفسهُ عاجزاً عن تخليص ابنتهِ مخافة تشهيرهِ والتنكيل بهِ هرب الى الهفر وركب منها باخرة كانت متوجهةً الى اميركا الا انها لم تكد تبعد بهِ عن الشاطئ حتى لعبت بهِ الوساوس والاوهام وثقل عليهِ ماضيهِ وتخيل قتيليهِ في تلك اللجة يدعوانهِ فقال هاءنذا والقى بنفسهِ في البحر فكان آخر العهد بهِ

. . . .

ولما علمت ادماء بمصرع ابيها جزعت عليهِ جزعاً شديداً وأخرت زفافها اياماً صرفتها في العناية بالسيدة صوفيا الى ان ثاب اليها رشدها وانقضت ايام الحداد فزُفت الى الكنت دانيال دي مادراي ولم يبرحا بين السيدة صوفيا والجاويش جابين مظهر العناية ومجلى السعادة والغبطة ولسان حالهما ينشد

ان يسوءنا الماضي فقد سرَّ آتٍ فاغتفر ما مضى بما هو آتِ